حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية الأسبق

إرهاق الوجود الإسرائيلى

فدائيًا - سياسيًا - إقتصاديًا
ثقافيًا - علميًا - فكريًا

دار الشروق

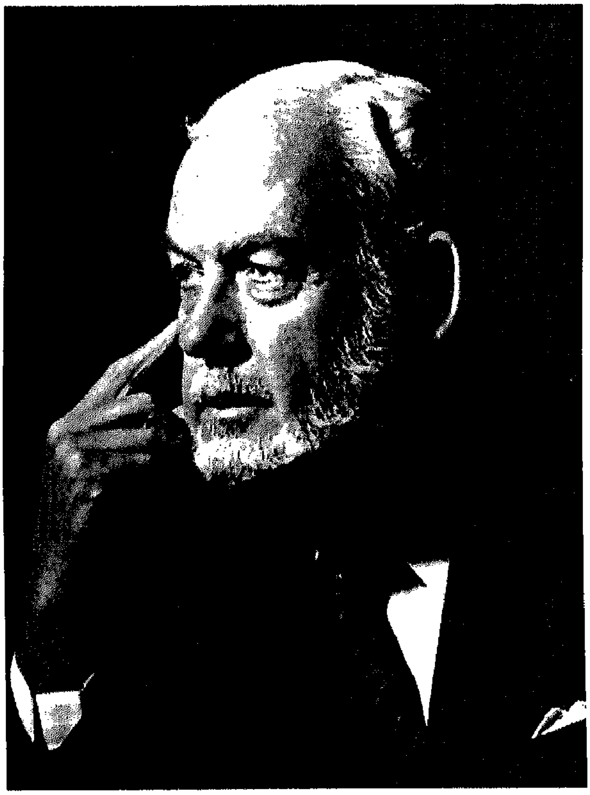
إرهاق الوجود الإسرائيلى

فدائياً - سياسياً - إقتصادياً
ثقافياً - علمياً - فكرياً

الطبعـــة الأولـــى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

© دارالشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهـرة : ٨ شـارع سـيبويه المصـرى -
رابعـة العـدوية - مـدينـة نصـر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فـاكـس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com



حسين الشافعي
نائب رئيس الجمهورية الأسبق

إهداء

إلى أرواح الشهداء
الذين رووا الأرض بالدماء
عطاءً وبذلا وفداءً

إلى

أرواح شهداء ١٩٤٨
أرواح شهداء ١٩٥٦
أرواح شهداء ١٩٦٧
أرواح شهداء حرب الاستنزاف ١٩٦٩
أرواح شهداء حرب أكتوبر ١٩٧٣
أرواح شهداء الانتفاضة الأولى ١٩٨٧
أرواح شهداء المقاومة فى لبنان ١٩٨٢
أرواح شهداء الانتفاضة الثانية ٢٠٠٠

التى بدأت فى ٢٨ سبتمبر ذكرى وفاة جمال عبدالناصر والتى ندعو الله أن تبقى مضيئة مشتعلة إلى أن تعم سائر البلاد العربية والإسلامية تأكيدًا لاستمرار ثورة ٢٣ يوليو حتى تتحرر أرض فلسطين وسائر بلاد المسلمين.

فليكن شعارنا

إرهاق الوجود الإسرائيلى

فدائيًا - سياسيًا - اقتصاديًا

ثقافيًا - علميًا - فكريًا

مقدمة

إن مراحل إعادة بناء القوات المسلحة وإقامة قاعدة الصواريخ وحرب الاستنزاف، هى الركائز التى مهدت لحرب أكتوبر وكل منها ملحمة ينبغى أن تسجل بكل تفاصيلها وتضحياتها من الأموال والأنفس، وكانت الملحمة الرابعة هى الضرب فى العمق، ومنها ضرب مدرسة بحر البقر ومنطقة الخانكة وأبى زعبل وقناطر نجع حمادى - وفى النهاية لم يبق لهم من سبيل للانتقام من العمليات الناجحة فى حرب الاستنزاف إلا الاعتداء بالغارات الجوية على مدن القناة: بورسعيد والإسماعيلية والسويس، والملحمة الخامسة كانت تهجير أهل مدن القناة الثلاثة؛ حيث بلغ عدد المهجَّرين إلى ما يقرب من مليون ونصف المليون. وبذلك لم يبق للعدو أى مجال للانتقام، وأصبحت عملية التهجير هى بمثابة العبور إلى الهدف الذى تحقق فى العاشر من رمضان الموافق ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

وفى عام ١٩٧٢ وقبل الحرب بسنة وعشرة أشهر، قامت المظاهرات فى جميع الجامعات؛ حيث إن عام ١٩٧١ الذى أطلق عليه عام الحسم. فلما مضى عام الحسم دون حسم، وكان صبر الناس قد نفد.

قامت المظاهرات تعبيراً وتنفيسًا، وكانت المظاهرات فى جامعة أسيوط هى الأشد، وذهب من ذهب من المسئولين لتهدئة النفوس إلا أنهم فى أسيوط أرادوا أن يستمعوا إلى من يمثل ثورة ٢٣ يوليو، فجاء لمقابلتى وفد من أهل أسيوط وممثلون لاتحاد طلبة الجامعة وممثلون لمجلس إدارة الجامعة وتم الاتفاق على تلبية هذه الدعوة الكريمة وتحدد لهذا اللقاء التاريخى يوم ٤ مارس ١٩٧٢.

ركبت قطار الصعيد بمفردى وحيداً؛ حيث اعتذر وزير التعليم العالى فى اللحظة الأخيرة، وكان هذا الوزير هو «شمس الدين الوكيل»، بدعوى أن السادات أراد مناقشة سياسة التعليم فى هذا اليوم.

وصلتُ محطة أسيوط ظهراً وكان فى استقبالى أصحاب الدعوة وهم مجلس إدارة الجامعة وممثلو اتحاد الطلبة وأهل المدينة ومعهم المسئولون فى المحافظة، وتوجهنا إلى الجامعة وكان الطلبة فى الكافتيريا يتناولون وجبة الغداء، وكان كل منهم يحمل بين يديه ما يحمل عليه طعامه فتقدمت وأخذت مكانى معهم فى الصف لأتناول وجبة الغداء معهم مما يأكلون، وكنت سعيداً وكانوا سعداء بهذه المشاركة، وذهبت للحجرة التى أعدت لى لأستكمل بينى وبين نفسى الإجابة عن هذا السؤال: ما الذى يريد أصحاب الدعوة أن يسمعوه منى؟ وكانت هذه الخلوة استكمالا لما بدأته فى رحلة القطار من مناقشة الموقف بأبعاده بعد أن انقشع غبار معركة ١٩٦٧، ودخلنا فى مراحل التصدى والصمود وحرب الاستنزاف التى أوقفتها مبادرة «روجرز».

صليتُ العصر ودعوت الله والتمستُ منه التوفيق؛ حيث إن الكلمة قدر، والكلمة أمانة، والكلمة مسئولية، والكلمة اهتمام للسامع، وبقدر ما يكون بها من إخلاص يكون مردودها التوفيق والقبول.

وبدأ الاجتماع مع غروب الشمس، وأردت أن تكون السيطرة على الاجتماع محكمة على قدر الإمكان، فطلبت ألا توجه الأسئلة إلا من خلال المنصة ومن خلال من يمثل الطلبة، فوافق الجميع على أن رئيس اتحاد الطلبة هو الذى توجه من خلاله الأسئلة، فدعوته ليأخذ مكانا معنا فى المنصة.

وبدأ الاجتماع بالكلمات التقليدية التى تعبر عن إدارة الجامعة واتحاد الطلبة وأهل مدينة أسيوط، وجاء دورى فى الكلام، فقلت فى كلمة مرتجلة كل ما فى نفسى تعبيراً عما عشناه ومارسناه، فكانت كلمة فيها تحديد للمنهج الذى علينا اتباعه لمواجهة أعدائنا مهما كان حجمهم ومهما كان تدبيرهم.

قلت: لأول مرة أحضر إليكم فى مدينتكم أسيوط بعد انتقال جمال عبدالناصر، ومن حق هذا الرجل علينا فى البلد الذى أنبته أن نذكر ما أنجزه خلال خمسة عشر عاما.

إن ما أنجزه لا يقع تحت حصر، ولن يذكر له التاريخ فى كل ما أنجز إلا أنه بثورة ٢٣ يوليو المجيدة، استطاع أن يحرك واقع المنطقة العربية، ولكنه مات سنة ١٩٦٧، إلا أنه تشبث بالحياة، ليستر انسحابه من الحياة فى عام ١٩٧٠. وفى هذه المرحلة خاض أمجد

معاركه عندما أعاد بناء القوات المسلحة وأقام قاعدة الصواريخ وبدأ حرب الاستنزاف، فلما شعر بالأمان مات مطمئنًا فتحية لنضاله وفاتحة لروحه.

ثم ألقيت المسئولية على عاتق الأخ الزميل أنور السادات، وهى مسئولية لا يسعى إليها عاقل، ولكن إذا ألقيت المسئولية على عاتق الرجال فينبغى أن يحملوها كما يحمل الرجال مسئولياتهم، وإنى أدعوكم أن تقفوا إلى جانبه وتساندوه وتدعوا له بالتوفيق. وقوبل هذا الاستهلال من هذا الجمع الذى كان يتجاوز عدده ١٠ آلاف بالقبول والارتياح.

وشعرت بأن المشاعر العامة تشد من أزرى وتشجعنى للدخول فى صلب الموضوع الذى أعلم أنه يشغل بال الحاضرين بعد أن عاشوا كما عاش شعب مصر هذه المرحلة فى قلق وتربص وانتظار لنرد ونثأر لعام ١٩٦٧، فنغسل العار ونحقق الانتصار.

ثم قلتُ: إن مصر لها وضع خاص وليست كغيرها من البلاد، فهى المكان القائد فى هذه الأرض حتى أن القرآن الكريم يطلق عليها اسم الأرض وهى مجرد جزء من الأرض، ولكنه التعظيم والتكريم، كأن يقول يوسف ـ عليه السلام ـ: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ (يوسف: ٥٥)، أى على خزائن مصر، ويذكر اسمها فى القرآن الكريم خمس مرات بعدد الصلوات الخمس وعدد أركان الإسلام، ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شأن مصر ثلاثة أحاديث نذكرها لأهميتها فى الموضوع الذى نتعرض له:

١ ـ «أوصيكم بأهل مصر خيراً فإن لكم فيها نسبًا وصهراً».
٢ ـ «مصر كنانة الله فى أرضه من مسها بسوء قصم الله ظهره».
٣ ـ «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا منها جنداً كثيفًا فهم خير أجناد الأرض لأنهم هم وزوجاتهم فى رباط إلى يوم القيامة»، وهى إشارة لرباط اجتماعى لتجانس أهلها ورباط حربى وعسكرى لأنها مطموع فيها لما تمثله من قيمة ومحور للأمة الوسط التى قال الله فى شأنها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣). والكنانة معناها جعبة السهام التى ترد العدوان.

لكل ذلك فالصراع بين الأقوياء عندما تكون مصر فى دورات الزمان المتقلبة ليست على مستوى القيادة، تكون مطمعا للأقوياء كل يريدها لنفسه. وهذا الوضع يعرضنا لمعركة تفرض نفسها علينا، وليس من المفيد أن نستعين بقوة منهم على الأخرى، فإنهم فى نهاية المطاف يؤكدون أن الوفاق بينهم لضربنا مقابل تسويات وتنازلات بينهم.

وقد حدث ذلك فى عام ١٩٠٤ فيما يسمى بالوفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا. انفردت إنجلترا باحتلالها لمصر مقابل إطلاق يد فرنسا فى تونس وشمال أفريقيا. وها هو التاريخ يعيد نفسه، حينما كان الصراع بين روسيا وأمريكا وانتهى بهما الأمر بضربنا فى عام ١٩٦٧ والذى وصفته فى هذا اللقاء قائلا:

إن ما حدث فى ١٩٦٧ كان خيانة وكانت مؤامرة اتفقت فيه

الأطراف واستدرج فيها من استدرج وجاز الأمر على السذج، لكى نعيش النتيجة. واتضح من هذه التجارب المتكررة أنه لا سبيل لمواجهة هذه العداوات إلا فى الارتباط بالأكبر وهو الله القوى العزيز.

أما المعركة الثانية: فهى ضد الوجود الإسرائيلى بكل ما يمثله من أطماع تتمثل فى الشعار الذى يرفعونه، وهو «ملكك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل»، وهذا ما يشير إليه علمهم الذى تتوسطه نجمة داود فى أعلاها وأسفلها خطان باللون الأزرق إشارة إلى النيل والفرات. وما وجودهم فى أرض فلسطين المحتلة إلا مقدمة إلى أطماعهم التى لا تقف عند حد، وهى الدولة الوحيدة التى ليس لها حدود ويقولون: «الحدود حيث تصل الجنود».

ولذلك فإن المعركة بيننا وبينهم هى معركة حياة أو موت، وهى أن نكون أو لانكون.

إن أسلوبهم فى مواجهتنا هو أسلوب انتهازى يعمل على استدراجنا فى معارك تقليدية، يملكون فيها التفوق فى التسليح الذى تمدهم به حاضنتهم أمريكا. وهم يريدونها حربا خاطفة تنتهى فى أيام؛ فيكون انتصارهم انتصارا مضللا فيزيدهم صلفا وغرورا وينعكس علينا باليأس والإحباط.

ولقد آن الأوان أن نستدرجهم نحن إلى المعركة التى نملك فيها كل عناصر التفوق فى العدد وامتداد الأرض وحجم الموارد، التى تزخر بها أراضينا الممتدة من الخليج إلى المحيط عربيًا، ومن المحيط إلى المحيط إسلاميا. وهذا يقتضى منا أن نرفع شعارًا جديدًا يعبر

عن هذه الطاقات فى حرب (فدائية ـ اقتصادية ـ سياسية ـ ثقافية ـ فكرية ـ علمية) تحت هذا الشعار . . إرهاق الوجود الإسرائيلى فدائيًا ـ سياسيًا ـ اقتصاديًا ـ ثقافيًا ـ علميًا ـ فكريًا، ونعد لكل ميدان من هذه الميادين الستة خطة عمل مفصلة . . وعندما ننتهى من هذه الدراسة تكون الخطة المتكاملة، ونبدأ فى تنفيذها خطوة خطوة، وتكون مصر هى القيادة التى تنطلق منها هذه الدعوة، وفى كل يوم ينضم إلى كتائب الفدائيين فى كل هذه الميادين إلى أن تتسع الجبهة على الأعداء، فلا يكون أمامهم من سبيل إلا الجنوح إلى السلم الذى لم يجنحوا له أبدًا إلا تحت هجمات الفداء، من حرب الاستنزاف، إلى انتفاضة الحجارة الأولى، إلى المقاومة فى لبنان، إلى الانتفاضة الأخيرة التى بدأت فى ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠، مع الذكرى الثلاثين لانتقال جمال عبدالناصر، وكأنها بذلك تجدد الصمود، وتقول ثوار ثوار ولآخر المدى ثوار، وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة. مرددين قول الشاعر :

إذا الشعب يوما أراد الحياة   فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى   ولابد للقيد أن ينكسر

المؤلف

أكتوبر ٢٠٠١

١ ـ فدائياً

--

كلمـا أهلّت علينا وعلى الدول العـربيـة ذكـرى ثورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ تجدد الحديث عن جمال عبدالناصر كقائد لهذه الثورة المجيدة ليس بالنسبة لمصر، ولكـن بالنسبة للعالم العربى؛ حيث إن من أهم ما أحدثته الثورة هو أنها حركت واقع المنطقة العربية.

وهنا يتردد التسـاؤل: هل لفكر جمال عبدالناصر امتداد وتواصل بعد أن مضى على انتقاله إلى جوار ربه ما يقرب من الثلاثين عاما؟

وهناك مـن يسـأل ليـعلم، وهناك مـن يسـأل ليـتعـالـم، وهنـاك من يسأل ليشكك، وهناك من يسأل ليطمئن.

ولكل أولئك أقـول: إن جـمـال عبدالنـاصر كـان ظاهرة عبـرت عن مرحلة من مراحل النضـال المضيئة فى تـاريخ الأمم، وهذه المراحل فى تتابعهـا إنما تسـعى إلى تحرير الإرادة لاسـتعـادة الذات، وإلى تعـميق الإحسـاس بالعزة والشرف وبالكرامة الوطنية والقومية. وكل مرحلة أشبه بفرع فى شجـرة الحرية تعبيـرا عن نضـال الشعب لاسـتخـلاص إرادته من مغتصبيها. وكل مرحلة لها رجالهـا الذين تقع عليهـم أعباء المرحلة. وكل مرحلة تساعـد على إظهار عوامل القـوة، كـمـا تسـاعـد أيضـا على توضـيح عـوامل النقص، وبـذلك تزداد الصـورة وضـوحـا وجلاء؛ فنعرف ما تحقق، ونعرف مـا لـم يتحقق وهذا يدفع المناضلين

أن يراجعوا تقديراتهم لموقف أمتهم، ويتبينوا حجم عدوهم ومن وراءه، ويتعرفوا أيضا على عناصر قوتهم التى لم تستخدم فى مرحلة النضال السابقة، ليكون الحشد للمرحلة القادمة أكثر شمولا وأكثر فاعلية، ومراحل النضال متصلة، كما أن مراحل التبعية وفقد الإرادة أيضا متواصلة، ولا ينبغى أن تختلط الأوراق بين مراحل النضال وفترات التبعية وفقد الإرادة؛ حيث إن فترات التبعية مراحل عارضة، أما مراحل النضال فهى فقط التى تحسب فى عمر الأمة، أما فترات التبعية وفقد الإرادة فهى الوقت الضائع.

فاللهم أدعو أن تجعل أيام النضال هى السائدة حتى يتحقق وعد الله فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

إن قمة التآمر على العالم الإسلامى بدأ فى عام ١٩١٧ عند دخول الجنرال اللنبى مدينة القدس، وقال كلمته المشهورة وهو يتسلم مفتاح المدينة المقدسة: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»، وعندما دخل الجنرال جورو الفرنسى دمشق وعند قبر صلاح الدين قال: «ها قد عدنا يا صلاح الدين»، وبدأت الجريمة الكبرى أولى خطواتها بصدور وعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧ للتمكين لليهود بأن يكون لهم وطن قومى فى فلسطين.

وبعد ٣٠ سنة فى عام ١٩٤٧ كان قرار التقسيم، ثم حرب ١٩٤٨ لإتمام جريمة العصر بهذا التحالف الصهيونى الغربى الذى ستظل البشرية تعانى منه إلى أن يأذن الله بتدبيره المحكم، الذى يتم مرحلة

تتلوها مرحلة من البذل والفداء وإرهاق هذا الوجود حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة، فنردد جميعا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١).

كلما قرأت الآية القرآنية في قول الله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ (التوبة: ٨). أشعر بأن هذه الآية قد قيلت في مسلمي هذا الزمان الذي نعيش فيه وهي تبدأ بتساؤل: كيف؟ أي كيف يصل بكم الأمر أن تهونوا على أنفسكم حتى يظهر عليكم الكفار والمشركون وقتلة الأنبياء فلا يرعون فيكم ضعيفا وليس لهم عهد أو التزام، ﴿لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ (التوبة: ٨).. كيف تخرجون عن منهج السماء حتى يستهين ويطمع فيكم الأعداء؟ كيف تفرطون في حق أنفسكم وقد قال الله فيكم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)؟ كيف تقفون بين يدي الله وهذا حالكم وقد خلقكم لتقودوا البشر إلى طريق الخير بمنهج السماء تصديقا لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)؟ فيا أمة لا إله إلا الله. آن الأوان للبذل والفداء تنفيذا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١).

إننا نحييكم أيها المجاهدون وأبطال الحجارة، فقد أصبحتم الأمل والقدوة بكل جدارة، وقد أبلغتم الإشارة وأرهقتم الوجود الإسرائيلى فى عقر داره. . مصر الكنانة تشد من أزركم حتى تتحرر الإرادة. . ومصر الثورة تحرضكم على ضرب عدو الله وعدوكم بلا هوادة، والله معكم. . وتحية لمن فاز بالشهادة واذكروا الله كثيرا فإما نصراً وإما شهادة.

لا تكتفوا بالحجارة تقذفونها، ولكن أشعلوها نارا وحرائق وخربوا أرضا اغتصبوها ودمروا كل ما أقاموا من مرافق، لا تتركوهم يغمض لهم جفن أو ينعموا بما سرقوا، وليقل كل منكم بأعلى صوت: الأرض أرضى والبلاد بلادى ولن أترك منها شبرا واحدا للأعادى. . شهداؤكم فى الجنة وقتلاهم فى النار فهم حزب الشيطان وأنتم حزب القادر الجبار.

إن إرهاق الوجود الإسرائيلى فدائيا لن يتوقف منذ بدأ بحرب الاستنزاف التى أشعلت الشرارة الأولى لهذا النوع من الحرب غير النظامية، والتى فيها مقتل إسرائيل فاستغاثت بحاضنتها أمريكا التى تقدمت بمبادرة «روجرز» والتى قبلتها مصر لاستكمال قاعدة الصواريخ، وما أن جاء عام ١٩٧٧ بمخازيه وتبعه عام ١٩٧٨ وكامب ديفيد بما فيه، حتى انطلقت انتفاضة الحجارة تعبيراً عن الألم والمرارة فى عام ١٩٨٧ وسبقتها المقاومة فى لبنان، ثم الانتفاضة الثانية فى ٢٨ سبتمبر من العام الماضى، وكأنها احتفال بذكرى وفاة جمال عبدالناصر.

إنهـا شـعلـة الثورة الـتى تتـجـدد فى صـور مـتتـابعـة لا تتـوقف مـادامت الحيـاة فإن عـدوكم على اسـتـعـداد للتـسليم بقـدر مـا فى نفوسكم من تصميم : ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة : ١١١).

٢ ـ سياسياً

لكى نستطيع أن نتصور كيف يكون إرهاق الوجود الإسرائيلى سياسيا، ينبغى أولا : أن نتبين التعريف الحقيقى لهذا الوجود العابر الغادر لهذه الدولة التى ولدت سفاحا فى الظلام، وتركت لقدرها على أعتاب المسجد الأقصى كأولاد الحرام. إنها الدولة الوحيدة التى فرضت وأنشئت بقرار، وسيكون زوالها بإذن الله بالجهاد والإرادة والإصرار.

ففى أعقاب الحرب العالمية الثانية اتفق المنتصرون الكبار على فرض هذا الكيان الغريب فى فلسطين، إلى أن يقضى عليه كما قضى على دولة أورشليم على يد صلاح الدين.

لقد قام هذا الكيان على دعاوى وخرافات كاذبة وادعاءات تاريخية ما أنزل الله بها من سلطان، كلها خداع وأوهام. فكان العدوان سبيلها ومركبات النقص والحقد دافعها، وتحدى غضب الله عليهم بتشتيتهم أن يتجمعوا ،ليقيموا هيكل سليمان فى أرض الميعاد وهم لا يعلمون أنهم مسخرون لمصيرهم المحتوم. . ويكفى قول الله تعالى فيهم: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٦١).

الطمع طبيعتهم، فيقولون: «الحدود حيث تصل الجنود»، فليس لدولتهم حدود، وتعلن فى صلف وغرور: «ملكك يا إسرائيل من

الفرات إلى النيل»، حتى علمهم يعلن ذلك فى وقاحة: خطان باللون الأزرق تعبيراً وإشارة للفرات والنيل وبينهما نجمة داود.

وبالابتزاز المالى والإعلامى يستميتون فى فرض واقع أساسه اغتصاب الأرض من أصحابها، ويعملون على إحياء لغة ميتة، ويصرون على أنهم مازالوا شعب الله المختار، وقد نسخ الله آيات التفضيل التى كانت لهم، يقول تعالى فى حق أمة الإسلام: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣). فيهم صفات المنافقين، والمنافق إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان، ويقول الله تعالى فى ذلك: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ١٠٠).

ويصفهم الله بالجبن فيقول عز من قائل: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر: ١٣، ١٤). وهم يخشون أهل فلسطين من قديم الأزل كما يقرر القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة: ٢٢). وقولهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤).

فما هى مصادر قوتهم ومقومات وجودهم؟

أولا : سعيهم المستمر للانفراد باستقطاب القوة العالمية الكبرى- وهى الآن أمريكا- تحتمى فيها وتحارب بسلاحها، وتتوارى من ورائها لتغطية جرائمها تحت دعوى أنها الحامية لمصالح أمريكا فى منطقة المشرق العربى، وكل ذلك بالابتزاز المالى والإعلامى، واستغلال الضغط اليهودى ماليا وإعلاميا فى الولايات المتحدة.

ثانيا: تسخير جهاز الأمم المتحدة لتحقيق أهدافها أو عدم إدانتها على انتهاكها لكل الحقوق والأعراف الدولية، وذلك بالاستفادة من الفيتو الأمريكى.

ثالثا: التسلط المالى والإعلامى من خلال امتلاك دور النشر والصحف ومعظم وسائل الإعلام، مكّن لها تزييف الحقائق حتى ضاعت الحقيقة.

رابعا: غيبة العالم العربى والإسلامى عن الاضطلاع بمسئوليته ورسالته والتقصير الشديد فى حشد إمكانياته لمواجهة هذا التآمر والعدوان.

كيف نواجه ونتصدى لننتصر على هذه الأمور الأربعة: إنى أعلم أنه ليكون لك وزن وفاعلية وتأثير فلابد أن يكون لديك وسائل ضغط، حيث إن الذى لا ينفع فى إمكانه أن يضر وكلما زادت القوة فلها نقط ضعفها، كما أن لها مصالح فى مجالات متعددة، فلو أمكن

استغلال إمكانياتنا وتحريكها للإضرار بهذه المصالح إذا استمرت فى مساندة باطل إسرائيل والاعتداء على مصالح العرب والمسلمين، فلنا من العمل النقابى والتنظيمات الشعبية ما يمكن من خلاله الإضرار بهذه المصالح، وإنى مازلت أذكر قوة النقابات والتنظيمات الشعبية وإمكان قيامها بأدوار فعالة للإضرار بهذه المصالح، لتدرك أمريكا أن سياستها المتحيزة يمكن أن تجرّ عليها خسائر لا قبل لها أن تحتملها إذا استمرت فى مساندة إسرائيل بالباطل والظلم والاعتداء.

إن كل نقطة من النقاط الأربع تشكل أساسا للدراسة المتعمقة لتحريكها، والتى ينبغى على أجهزة الجامعة العربية أن تجعل ذلك مجالا للبحث الذى ينتهى إلى خطط تتناول مسار الأمور فى سياساتنا شداً لأزر المجاهدين فى فلسطين الذين استطاعوا وحدهم بنضالهم أن يشكلوا ضغطا وإضرارا بمصالح العدو فى مجالات متعددة، منها السياحة والهجرة إلى إسرائيل التى انكمشت وزيادة الهجرة إلى الخارج، وأصبح الاقتصاد يعانى من خسائر لا يستهان بها، هذا فضلا عن افتقاد الأمن والأمان.

وأنهى حديثى بقوله تعالى فى ختام سورة: (آل عمران: ٢٠٠): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. صدق الله العظيم.

٣ ـ اقتصاديًا

عندما كانت منشورات الضباط الأحرار تحدد المبادئ الستة التى كانت المحرك لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ المجيدة، كان نطاق التفكير لا يتجاوز النطاق المحلى فى مصر، ولكن من التطبيق والممارسة اتضحت الحقيقة . . إن مجال الواقع يتجاوز النطاق المحلى والنطاق القومى وتخطاه إلى النطاق الدولى، بل الكونى.

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى قال فى شأن من اختاره واصطفاه ليغير واقع الحياة لتتوافق مع منهج الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

إذًا فهى رسالة وإن كانت قد بدأت بين العرب الذين يتكلمون اللغة العربية، إلا أن نطاق مسئوليتها يشمل العالم أجمع.

إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو القائد الوحيد الذى تحققت على يده هزيمة اليهود شر هزيمة انتهت بإخراجهم من خيبر والمدينة المنورة فى أول الحشر. ولم يتحقق ذلك إلا باتباعه لمنهج السماء فى مختلف مجالات وميادين الحياة، ومن بينها ميدان الاقتصاد الذى أصبح مدخل اليهود للسيطرة والتحكم فى غفلة المسلمين عن منهجهم الذى انتصروا به . . فلما تركوه ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، لاحت الفرصة لليهود الذين كفروا من أهل الكتاب لإقامة دولة الشيطان التى يحكمها الطاغوت.

نعود لمبادئ الثورة ـ المبدأ الثانى ـ القضاء على الاحتكار وعلى سيطرة رأس المال على الحكم ، فعلى سبيل المثال كان أحمد باشا عبود على رأس الرأسمالية فى مصر قبل الثورة ويعمل لديه حسين باشا سرى رئيس الوزراء عندما يترك الوزارة ، وكانت القوانين لا تعبر إلا عن مصلحة الإقطاعيين والرأسماليين الذين يستمدون سلطانهم وقوتهم من الوجود الاستعمارى المتمثل فى جيش الاحتلال ، وعلى رأس البلاد ملك هو أولا وآخرا موظف من قبل الإنجليز بدرجة ملك .

لقد استمد اليهود سلطانهم العالمى الذى تجاوز عددهم الضئيل من سيطرتهم على رءوس الأموال وتجميعها واكتنازها من أى سبيل ، كما فعل قارون الذى يصوره القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص : ٧٦ ، ٧٧) .

أردت أن أبدأ بهذه المقدمة حتى يكون الأمر واضحا ، إن ما تعانيه البشرية من ظلم بيّن ، يبدأ عندما تنفرد قلة بتجميع المال واكتنازه من أى طريق وبأى وسيلة ، وبدلا من إنفاقه فى سبيل الله لإسعاد الجميع عملوا على تحويله إلى وسيلة ضغط وإخضاع وسيطرة لإخضاع إرادة الآخرين ، وحتى يصبح الناس فى النهاية يعبدون الدولار بدلا من

عبادة الواحد الرزاق القهار، وأصبح الاقتصاد بهذه الطريقة وعلى هذه الصورة هو الشيطان وهو الطاغوت، له قوانينه وله طقوسه وله سدنته وكهنوته لإخضاع البشر لحساب القلة الباغية التى استباحت الانفراد بكل الخير على حساب الجياع، والفقراء والمساكين فى كل أنحاء الأرض.

وبذلك ضاعت الحكمة التى أرسل الله بها رسوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). هذه الرحمة التى هى أعلى مراتب القوة الخيّرة والقوة البناءة، وليست القوة الطماعة، القوة المفسدة، القوة المدمرة.

هذه هى الرحمة التى تتركز فى أن المال هو مال الله الذى هو الرزاق. والمطلوب من البشر المستخلفين فى هذا المال أن يبادروا بإنفاقه فى سبيل الله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٤)، أى أن الذين يكفرون بمبدأ الإنفاق كركيزة لفلسفة الاقتصاد الإسلامى يحولون المال من أداة رحمة تعم الجميع بالإنفاق فى سبيل الله، إلى اكتناز يكون وسيلتهم فى السيطرة والاحتكار للتحكم فى عباد الله، للإذلال والإخضاع وهذا هو الحال الذى تعانيه البشرية، عندما يضيع منها الطريق إلى منهج الله الذى أرسل الله به رسوله الذى أرسله: ﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ (الفتح: ٢٨). ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). ويقول الحق تبارك

وتعالى فى هذا المجال: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٦، ٢٥٧).

ولذلك كان الهدف الثالث للحركة الصهيونية بعد حصولهم على موطئ قدم لهم فى فلسطين، ثم استجلاب اليهود ليقيموا فى هذه الأرض هو احتواء المنطقة اقتصاديا، فتكون لهم مع مرور الوقت السيطرة الفعلية بتحكمهم فى الفعاليات الاقتصادية.

ويذكر بعض كتابهم أنه بعد أن أصبح ثلث الفلسطينيين يعيشون داخل إسرائيل، وثلث آخر يعيش خارج إسرائيل، والثلث الأخير موزعا فى البلاد العربية فإنهم بذلك يمثلون المعابر والجسور التى يمكن احتواء المنطقة اقتصاديا من خلالها.

لقد كان لهم من خبرتهم وممارستهم فى المجتمعات التى عاشوا فيها أن تمكنوا من السيطرة على مقدراتهم الاقتصادية ولما جاءوا إلى فلسطين تصوروا أن ما حققوه فى مختلف المجتمعات ليس من الصعب تطبيقه فى فلسطين.

والذى يراجع ما تم الاتفاق عليه فى كامب ديفيد عام ١٩٧٨ يجد أن هناك بالإضافة إلى تسليم سيناء منزوعة السلاح ومنقوصة السيادة، فهناك كذلك اتفاقية ثقافية وأخرى تجارية، لكى يحققوا من

خلالهما أول اختراق للاقتصاد المصرى، لتكون البداية للتسلل بهدف القضاء على التضامن العربى فى مجالات الضمان الجماعى والمقاطعة العربية لأى تعامل تجارى مع العدو الإسرائيلى.

والمقاطعة الاقتصادية لإسرائيل هى أضعف الإيمان فى مجال الإرهاق الاقتصادى لإسرائيل، ولمواجهة عدوان إسرائيلى على الأراضى العربية يستبيح فيه قتل الأبرياء وتدمير المنازل اعتداءً على أهلنا وإخواننا أبناء فلسطين المحتلة. ولنبدأ على الفور فى إرهاق الوجود الإسرائيلى اقتصاديا على سبيل المثال لا الحصر:

أولا: إسقاط جميع الاتفاقات التى تتعارض مع إرهاق الوجود الإسرائيلى اقتصاديا وأولها اتفاقات كامب ديفيد ١٩٧٨.

ثانيا: إحياء الضمان الجماعى بين دول الجامعة العربية وإنشاء صندوق لتقديم المساعدات النقدية والعينية للمجاهدين فى فلسطين، والاستغناء عن كل المعونات المسمومة التى تقدم من الدول التى تساند إسرائيل.

ثالثا: الدعوة لإحياء الفكر الإسلامى واتباع ما تقضى به الشريعة من منع قطعى للربا بكل صوره بين دول العالم الإسلامى والعربى، مع العمل على تحصيل الزكاة وتطهير الاقتصاد من أى شبهة تتعارض مع تعاليم الإسلام.

رابعا: أن يتولى أمور الاقتصاد من يؤمن بأن مال المسلمين أمانة والتفريط فيها هو تفريط فى حق الله سبحانه وتعالى.

خامسا: الانفتاح على العالم الإسلامى والتوسع فى التبادل التجارى والاقتصادى، حتى تتسع رقعة المقاومة والتصدى وتشكيل كتلة تحقق التكامل وتوفر الحماية للكيانات الاقتصادية الضعيفة .

سادسًا: إعلان المقاطعة الاقتصادية ليس ضد إسرائيل فقط، بل ضد كل من يساند إسرائيل .

سابعًا: رفض تقبل أى مساعدات مالية، حتى لا تكون مدخلا لفقد الإرادة الحرة، إعلاءً لمعانى العزة والكرامة، ولنعلم أنه:
﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢، ٣).

٤ ـ ثقافياً

«لابد للقوة من عقيدة تدفعها، ولابد للعقيدة من قوة تحميها»

فى العيد الأول للاحتفال بمرور عام على قيام ثورة ٢٣ يوليو المجيدة أى فى عام ١٩٥٣ ، طلب منا نحن أعضاء مجلس الثورة أن يتقدم من يرى شعارا مناسبا يعبر عن الثورة ليرفع فى الميادين العامة ، فكان هذا الشعار الوارد فى صدر المقال أحد الشعارات التى تقدمت بها وكان معلنا فى ميدان التحرير . تذكرت هذا الشعار ونحن نتناول الحلقة الرابعة فى سلسلة مقالات إرهاق الوجود الإسرائيلى ثقافيا .

والثقافة هى واحد من أسلحة الغزو الخطيرة والفعالة ، وهى لا تقتصر على المتاحف والفنون فى مجالاتها المختلفة ، ولكن هى واحدة من خطوط الدفاع الرئيسة التى عليها أن تتصدى للغزو الثقافى ضد الدين واللغة والتاريخ والمبادئ والقيم التى يؤمن بها الشعب ، وهذه المواجهة لا تحتمل أى قدر من التراخى أو التفريط أو الإهمال .

إن الذى أثار انتباهى إلى هذه القضية الحيوية هو ما جاء فى اتفاقات كامب ديفيد ١٩٧٨ ، إذ إن من بينها اتفاقية ثقافية تضاف إلى الاتفاقية التجارية التى تكلمنا بشأنها فى حلقة الإرهاق الاقتصادى للوجود الإسرائيلى اقتصاديا ، وإننا بطبيعة الحال لا نخشى على

أنفسنا من ثقافة إسرائيل أن تخترق ثقافتنا لأنهم بلا ثقافة، ولكن إسرائيل هى التى تخشى على نفسها من ثقافتنا التى يمكن أن تحطم وتكشف عورات هذا الكيان الصهيونى الذى هو أقرب ما يكون إلى عصابة من اللصوص الذين يعملون فى الظلام، وأكثر ما يخيفهم ويزعجهم ويقلقهم هو أن تسلط عليهم الأضواء، فيستيقظ أهل البلاد فيعرفون حقيقتهم وإجرامهم، وهم كالثعابين التى تغير جلدها، وكالحرباء التى تغير لونها لتغطى واقعها بصور مختلفة من النفاق للإيحاء بأنهم دعاة خير ومحبة وسلام ليجذبوا الذين لا يعرفون طبيعتهم الشريرة، فإذا انفضحت حقيقتهم خرجوا على الناس بصورة جديدة وتحت تنظيم جديد، فهم الماسونية، وهم الصهيونية، وهم الروتارى، وهم الليونز، وهم اليهودية الدولية وغير ذلك من التنظيمات التى تدعى أعمال الخير وتأتى من خارج البلاد بأهداف زائفة.

وهل من المعقول أن تأتى هذه الكيانات المشبوهة من خارج البلاد لخدمتنا وإقامة أعمال الخير بيننا، أم هى وسائل الخداع والنفاق لاصطياد حسنى النية الذين تخدعهم هذه الدعاوى الكاذبة؟

إنهم يخترقون مجتمعنا فى غفلة منا فلنحذرهم، ويكفينا فى هذا المجال قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

إن عدوهم الأعظم هو الإسلام: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: ٨٢)، لقد حاولوا مرارا طباعة

نسخ القرآن محرفة ليزيلوا منها كل ما يسيء إليهم، ويكشف عن طبيعتهم الخبيثة ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع، فلقد تكفل الله بحفظ القرآن الكريم معجزة الإسلام الباقية والمتجددة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

إن المسجد عليه دور كبير فى إرهاق الوجود الإسرائيلى ثقافيا ومعنويا ونفسيا، فلو أن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وعلماءهم، علموا الناس ما ينبغى أن يعلموه عن اليهود وطبيعتهم اللئيمة وخداعهم ونفاقهم وما جاء به القرآن الكريم من توضيح وتفصيل بشأنهم، لكان ذلك خط دفاع منيعا أمام مجتمع العدو الذى يعلّم أبناءه من الصغر تعاليم التلمود وبث الكراهية، وأن قتل غير اليهودى هو قربة إلى إلههم.

واتضح الآن لماذا كان حرص إسرائيل على اتفاقية ثقافية فى اتفاقات كامب ديفيد ١٩٧٨، لكى لا يقوم المسجد بواجبه نحو فضح العدو الصهيونى بما قال الله وقال الرسول فى شأنهم من كشف عوراتهم وسوءاتهم والدعاء عليهم بما يستحقون.

وإنى مازلت أذكر أنه فى حرب العاشر من رمضان، وفى يوم ١٢ أكتوبر على وجه التحديد وكان يوم جمعة، وكانت الصلاة فى المسجد الجامع الأزهر الشريف، رأيت أنه من المناسب أن نتواجد فى هذه المناسبة والحرب مازالت فى أيامها المجيدة، فتوجهت إلى قصر الطاهرة، حيث كان يقيم أنور السادات وطلبت منه أن يحضر

للصلاة، ليكون فى حضورنا مساندة معنوية كما حدث فى عام ١٩٥٦ ، عندما اعتلى جمال عبدالناصر المنبر محرضا على القتال من بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع . . فالحرب ليست بالأسلحة فحسب، ولكن أيضا بالإثارة والتحريض لرفع معنويات الجنود والاتجاه إلى الله طلبا لعونه ونصره. فقال إنه سيصلى فى الزاوية التى إلى جوار القصر، فوجدت من واجبى أن أتواجد مع المصلين، لنكون مع الناس مشاركين ولنراهم ويروننا، فعندما دخلت المسجد وكان الشيخ عبدالحليم محمود ـ رحمه الله ـ قد اعتلى المنبر ارتفع صوت المصلين بالتهليل والتكبير ، وما أن انتهت الصلاة حتى تزايد تكبيرهم وحماسهم، وطلبوا وأصروا أن أتحدث إليهم، وباءت محاولاتى بالاعتذار بالفشل، ولم أفلح فى إقناعهم بالاكتفاء بما سمعوه فى خطبة الجمعة فزاد إصرارهم وتصميمهم، فلم يكن من سبيل إلا الاستجابة لطلبهم ، فاعتليت المنبر حتى الدرجة الثالثة ليرونى وتكلمت مع هذا الحشد.

وكانت الإذاعة على الهواء والجنود على الجبهة يستمعون، وقلوب الناس مع كل كلمة، ولم تتجاوز كلمتى السبع دقائق، ولكنها كانت كلمات من القلب وكأنها مدد من الله صاحب الفضل، ووجهت خطابى إلى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها مستعينا بالله ورسوله وأرواح شهداء بدر، ثم تضرعا إلى الله طلبا للنصر والتأييد ، وانتهيت بالدعاء على الأعداء من اليهود والناس من ورائى تؤمن مع كل دعاء. . اهتزت له أرجاء المسجد،

وكان من بين كلمات الدعاء التى جاءت عفو الخاطر «اللهم يا مالك الملك يا من بيدك ملكوت كل شىء نتوسل إليك برسولك الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن ترفع الغمة وتنصر الأمة وأن تجمع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، وتؤلف بين قلوبهم وتجعلهم كلا على من عاداهم، وتقطع دابر الكافرين وتمنع أذاهم، اللهم فرق شملهم وشتت جمعهم، وزلزل الأرض من تحت أقدامهم وخرّب بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين كما وعدت، اللهم اجعل تدبيرهم، تدميرهم واجعل بأسهم بينهم شديدا واجعل قلوبهم شتى، اللهم باعد بينهم وبين من يساندونهم، ورد كيدهم فى نحورهم واشدد على قلوبهم واطمس على أموالهم واجعلها غنيمة للمسلمين إنك على كل شىء قدير وبالإجابة جدير»، والناس تؤمن مع كل دعاء بصوت تجاوز عنان السماء.

والشىء بالشىء يذكر أنه عندما قمنا بالعمرة فى شهر شعبان، وكان ذلك بعد وفاة ابنى القبطان أحمد حسين الشافعى فى ٢٠ جمادى الأولى الموافق ٢٠ أغسطس ٢٠٠٠، وكانت مشاعر الغضب على اليهود على انتهاكاتهم وبغيهم على أهلنا وأولادنا فى فلسطين قد بلغت أقصى الحدود، وكنت أنا ووالدته نستمع إلى دعاء الإمام فى صلاة الفجر فى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة على اليهود، دعاء يدمى القلوب ويطلق العبرات والدموع، وترتفع الحناجر بالدعاء فى ابتهال وتضرع، فكنت أشعر بنشوة لأن فى ذلك حشدا لمشاعر الكراهية؛ لأن هذا هو أول الطريق لإرهاق الوجود الإسرائيلى ثقافيا

ومعنويا ونفسيا، وأكاد أتصور حالهم إذا سمعوا هذه الأصوات لأنهم بالقطع سيتملكهم الفزع والرعب، وقد يكون من بين المصلين من يستجاب له الدعاء، وإنى أكاد أتصور أنه لو تكرر مثل هذا الدعاء فى كل مسجد سيشكل ذلك إرهاقا معنويا رهيبا على العدو، وحشدا لمشاعر العداء الواجبة ضد هذا الوجود الغاشم.

وأصدق دليل على رعب اليهود من مثل هذا الدعاء هو ما قالته إذاعة إسرائيل عقب إلقاء كلمتى فى الأزهر يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ ودعائى عليهم أن قالت ما معناه: هل يتصور نائب الرئيس حسين الشافعى أنه سيهزمنا بالدعاء؟

وفى موسم الحج الماضى طلبنا إلى بعض من نعرفهم من الحجيج أن يستمعوا جيدا لدعاء الفجر فى كل من مكة والمدينة، والدعاء على اليهود بالذات، وعند عودتهم قالوا لم نسمع أى دعاء على اليهود فى موسم الحج، بينما هذه المناسبة التى يتجمع فيها المسلمون من كل بقاع الأرض هى الأوقع والأكثر تأثيرا وشمولا، فهل انسحبت الاتفاقية الثقافية فى كامب ديفيد على بقية بلاد العرب والمسلمين؟ رحماك يا رب.. اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا وخذ بيدنا وشد من أزرنا، فلقد أذل الحرص أعناق الرجال.

٥ ـ علمياً

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة : ٢٨٢) ويقول كذلك: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٥) ويقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).

عندما بدأت فى تناول موضوع إرهاق الوجود الإسرائيلى علمياً تذكرت أنه قد جاءنى كتاب من صديق فى عام ١٩٦١، وكنت نائبا لرئيس الجمهورية ووزيرا للأوقاف وشئون الأزهر. . كان عنوان الكتاب «الحكومة الخفية» The Hidden Government، وكان هذا الصديق قد حصل على هذا الكتاب من أحد الضباط الإنجليز أثناء الحرب العالمية ١٩٣٩-١٩٤٥، وكان قد وصانى أن أعيده إليه لأنها النسخة الوحيدة.

قرأت الكتاب وهو كتاب لاتتجاوز صفحاته المائة صفحة من الحجم الصغير.

وكاتب هذا الكتاب كان ضابطا بالجيش البريطانى، حارب فى حرب البوير فى جنوب أفريقيا، ثم فى حرب السودان التى أصيب فيها إصابة أخرجته من الخدمة لعدم اللياقة. . والذى دفعه لكتابة هذا الكتاب أنه وهو يتابع مسار بعض القرارات لشخصيات يثق فى

إخلاصها ونزاهتها ، لاحظ أن هذه القرارات تُغير مسارها وتنحرف عن مضمونها . . وعندما يسأل لماذا انحرفت عن مسارها ، كان يتلقى إجابة واحدة إن المسار قد تغير استجابة للخطة it was changed according to plan ، وبالسؤال عن مضمون الخطة ومن هم من ورائها علم أن الصهيونية هى التى من وراء الخطة . . وملخص الخطة هو تجميع الذهب والأموال من أى مصدر وبأى وسيلة لتشترى الكلمة بامتلاك دور النشر والتحكم فى وسائل الإعلام ؛ للسيطرة على العقول وفرض الحقيقة التى تعبر عن مصلحتهم وتدبيرهم .

وبالإغراق الإعلامى الذى يملكون وسائله تقف الحقيقة مترددة مرتعشة لا تقوى على التعبير أو الإعلان عن نفسها .

ولقد اتخذت الحركة الصهيونية الحية شعارا لها تتحرك فى الخفاء لاتسمع لها صوتا ، حتى تتمكن من فريستها ، ويقولون إنه عندما يلتقى ذنب الحية برأسها باحتلال القدس يكونون قد نجحوا فى تحقيق هدفهم الأول وهو القضاء على المسيحية كخطوة فى طريق القضاء على الدين ، الذى يعتبرونه العقبة التى تقف دون تحقيقهم لأهدافهم الخبيثة .

والكاتب يقول إنه يكتب بأسلوب مباشر وبسيط ليدرك رجل الشارع حجم الخطر الذى يراد به ، فإنه تحذير وإيقاظ للغافلين من مواطنيه نحو هذا التخطيط الشيطانى . . إن هذا الأسلوب الشيطانى هو الذى أعطى لليهود بعددهم القليل الذى لايتجاوز الـ ١٥ مليونا

هذه القوة الخادعة، فسيطروا بالمال الحرام الذى اقترفوه، ثم هددوا وابتزوا بإعلامهم وعدوانهم، وذلك فى غفلة من المسلمين الذين ضلوا طريقهم وغاب عنهم منهج السماء الذى انتصروا به فى صدر الإسلام.. هذا المنهج الذى يمنع الربا ويأمر بإنفاق الأموال فى سبيل الله وعدم اكتنازها، ويحرم الخمر والميسر ويقيم الحد على القاتل والزانية والزانى والسارق وشاهد الزور، وبذلك يؤمن النفس على مالها وعرضها وحياتها، فيحميها من أسلوب اليهود الشيطانى.

ولذلك فهناك علم يؤدى إلى سيطرة الشيطان، وهناك علم يؤدى إلى إشاعة الحق وعبادة الرحمن، ولذلك كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستعيذ بالله من علم لاينفع، وقد أيقن منذ البداية عندما جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ وقال قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ (العلق: ١ ـ ٨).

فالعلم بلا رحمة يؤدى إلى البغى كما قال الله فى شأن قارون: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (القصص: ٧٦).. ويقول الحق تبارك وتعالى فى شأن المال وضرورة إنفاقه فى سبيل الله لكى تتحقق الرحمة: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

والطاغوت والبغى والظلم يبدأ كنتيجة لتكديس الأموال واكتنازها وحبسها عن خلق الله، فيعم الفقر والجوع والبطالة ويتفشى الفساد ويعم الطمع والجشع وتنحسر الرحمة؛ فيزداد الفقراء فقرا ويزداد الأغنياء غنى عندما يكون العلم بلا رحمة والرأسمالية بلا قيم أو أخلاق . . وصدق الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل: ١١٨). . فمن هم أعداء منهج السماء؟ هم اليهود والذين أشركوا تأكيدا لقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: ٨٢).

وبذلك يتضح أن الإسلام ومنهج السماء هو أكثر ما يخشاه اليهود، وأن إرهاق الوجود الإسرائيلى علميًا ليس مجاله منافستهم فى بغيهم وانحرافهم، ولكن هو فى إحياء تعاليم السماء التى تحرم الربا وتحث على الإنفاق فى سبيل الله على أن المال هو مال الله، والمستخلفون فى هذا المال عليهم أن يبادروا بإنفاقه فى سبيل الله ليعم الخير وتنعم البشرية بالعدل والخير والرحمة تصديقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٤)، ولكن اليهود اعتادوا العيش فى مجتمعهم المغلق عليهم «الجيتو»، لكى يباشروا تعاليمهم الشريرة فى الظلام فهم أعداء النور كالبوم والخفافيش وإبليس . . ويصفهم الله سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢)، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨).

إن هدف الإسلام هو تحقيق الرحمة للفرد والمجتمع والبشرية فقد كتب سبحانه على نفسه الرحمة، وقال فى شأن رسوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وهو سبحانه الرحمن الرحيم.

إن بعض الناس يتصورون الرحمة على أنها لين ولطف وتسامح ومحبة، فتكون فى نظرتهم المحدودة من سمات الضعف وهم يتطلعون إلى القوة.. علما بأن الرحمة هى أعلى مراتب القوة، ولكنها القوة الخيرة القوة البناءة، وليست القوة المفسدة الشريرة الطماعة والظالمة والحقودة والمدمرة. وأن الله الرحمن الرحيم هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وهو القوى وهو العزيز الحكيم.

ولو كانت القوة التى تتفاخر بها حضارة اليوم من اقتراف للأموال، وظلم للعباد، وإفقار للشعوب، واستئثار بخيرات الدنيا، وتبديد للأموال، والإنفاق السفيه والتبذير فيما لا يفيد البشرية، وامتلاك لأسلحة الدمار الشامل من قنابل ذرية وهيدروچينية وصواريخ عابرة للقارات وأقمار صناعية تلوث الفضاء، هى علامة رضا من الله وتفضيل من الخالق، لكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الأحق بها.. ولكنهم بهذا كله يكاد لسان حالهم يقول كما قال فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: ٢٤).. وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨)

وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ (النازعات: ١٥ ـ ٢٦) ويقول الله فى شأن هذه الأموال التى جمعت من الظلم للتحكم والاستكبار والاستعلاء: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٥٥)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل: ٦١).

إن الله اختص رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما هو أقوى من كل أموالهم الحرام وأسلحتهم المدمرة.. اختصه وهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة بما هو أقوى وأرحم وأجدى وأنفع من قنابلهم وصواريخهم.. اختصه بمعجزة المعجزات ومنهج السماء، فأنزل عليه القرآن الذى أحيا به أمة من الموت: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٠٠).. فأعطاهم مقاليد القيادة لمنهج السماء.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

لكل ذلك كان العداء للإسلام عداء مركبا، وكذلك العداء للقرآن الذى يكشف باطلهم ويفضح ما تمرسوا عليه من التغيير والتحريف

فى التوراة والإنجيل، كما يقرر القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٨، ٧٩).

إن العلم النافع نعمة، والعلم الذى يستهدف الظلم والبغى والطغيان نقمة وضياع . .

وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى:

(أ) ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٩).

(ب) ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ١٤).

(جـ) ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (الجاثية: ١٧).

وما كان العلماء من اليهود إلا أصحاب العلم المضلل الذى استعاذ منه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كعلم لاينفع من أمثال فرويد وداروين وكارل ماركس وأينشتاين، وكلها علوم لإشاعة الفرقة والبلبلة والتشكيك فيما جاءت به الكتب السماوية؛ لإفساح المجال لمخططاتهم الخبيثة ومكرهم السيئ وفكرهم المنحرف؛ ليسود ويسيطر . . ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

ولن نستطيع أن نجاريهم فى مضمار علومهم المنحرفة وسبيلنا

لإرهاق هذا الوجود الشيطانى، وذلك الانتشار السرطانى هو التمسك بمنهج السماء؛ لنعيد إخراج خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وتسليط الأضواء على جرائمهم وفضح كذبهم وكشف تآمرهم وعدوانهم. . وهذه معركة تحتاج النصر الذى هو من عند الله مرددين: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١).

ونكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر. بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - وعلى آله وأصحابه وأنصاره، وكل من اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

٦ ـ فكرياً

الكلمة قدر وأمانة ومسئولية، وكذلك لقاؤنا اليوم قدر وأمانة ومسئولية، وبكل ما مر بنا من تجارب، وكل ما يجول بنا من خواطر أجد نفسي مقيدا في اختيار التجربة والخاطر الذي يتناسب مع الظروف والأوضاع التي يمر بها العالم الإسلامي ونواته التي تتكلم بلغة القرآن الكريم، ألا وهي البلاد العربية من الخليج إلى المحيط.

الهدف: إن أردنا النجاة والفوز والفلاح فينبغي أن ندخل البيوت من أبوابها، نتكلم بصراحة بلا مجاملة ولا مساومة ولا نفاق أو استجداء حتى يكون الصدق مدخلا للقضاء على اليأس والإحباط واستعادة للثقة وتجديدا للأمل.

حال المسلمين: أصبحنا في حال لا نحسد عليه من خسف وإيذاء وإذلال حتى صدق قول الله فينا، وبهذا السؤال الاستنكاري: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ (التوبة: ٨)، وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها قالوا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل».

إرادة التغيير لتحرير الإرادة: أصبح الأمر لا يحتمل التسويف أو الانتظار، لكي نحدد هدفًا نلتف حوله ونعمل على تحقيقه؛ حيث إن

النجاح فى تحديد الهدف هو نصف الطريق إلى النجاح والنصف الآخر هو فى الإصرار على وضعه موضع التنفيذ والمحافظة على تحقيقه فى عزم وإصرار.

فما هو الهدف؟ قلبت الأمر بينى وبين نفسى فلم أجد خيراً من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

المبادأة: إن أقصى ما يتمناه القائد هو أن يستحوذ على المبادأة، لأنه طالما كانت المبادأة فى يد أعدائنا فعملنا سيبقى خاضعا لإرادتهم، وإنى أتساءل كيف حصل المسلمون المؤمنون الأولون على المبادأة؟

إن المبادأة لم تكن مبادأة بشر، ولكن كانت مبادأة السماء عندما اختار الله تعالى واصطفى القائد الأسوة الحسنة بإذنه وتوقيته.

وهل نقف منتظرين مبادأة السماء مرة أخرى؟

كلا لا ينبغى الانتظار؛ حيث إن محمد بن عبدالله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو من لا نبى بعده تمت به النعمة وكُملت به رسالة الإسلام بمنهجها الذى ارتضاه الله ليحيى به الأمة.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

المنهج: ولقد وضعت هذه الرسالة بمنهجها موضع التنفيذ بلا خوارق ولا معجزات، وأثبتت التجربة نجاحها المبهر فى ظروف

غاية فى الصعوبة والشدة، صحراء جدباء بواد غير ذى زرع، تسكنها قبائل متناحرة، يتقاتلون فى حمية الجاهلية لأتفه الأسباب ويئدون البنات.

والرسول القائد ولد يتيمًا وفقيرًا قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ (الضحى: ٦ـ٨).

الإخراج: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، والإخراج يمكن أن يتكرر طالما أن المنهج وأدواته موجودة وميسرة، وهى القرآن والسنة (حديث الرسول): «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى» والقرآن يؤكد على لسان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠).

صدق الإيمان: فإن صدق الإيمان وخلصت النية وتوافرت القدوة والعزم، فالمنهج قابل لإعادة الإخراج.

المسئولية: ينبغى أن ندرك بعد ذلك حجم المسئولية التى فى أعناقنا كمسلمين وعرب نتكلم بلغة القرآن.

حجة الوداع: فليبلغ الحاضر منكم الغائب.

الأمة الوسط: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

الفاسقون: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: ٢٧).

الهدف مرة أخرى: بعد هذه المقدمة نستطيع أن نتعرض للهدف الذى يقع فى نطاق مسئوليتنا وكيف يمكن تحقيقه بعون من الله وإذنه: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

أول العوامل: أول العوامل فى تقدير الموقف هو مناقشة قواتنا وقوات العدو ونبدأ باستعراض قواتنا أولا لتكون لنا المبادأة من أول الأمر.

قواتنا: إيماننا بالله هو سلاحنا الذى لا يغلب، فإن الله يساعد من يؤمن به ويثق فى قدرته بلا شك أو ارتياب، فقد أيد وساعد المؤمنين بقدر إيمانهم، فأيد بجنود كما فى غار حراء، كما أيد بإنزال السكينة كما جاء فى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة: ٤٠)، كما أيد بمدد من الملائكة.

- ٣٠٠٠ منزلين ـ (آل عمران: ١٢٤).
- ٥٠٠٠ مسومين ـ (آل عمران: ١٢٥).
- ١٠٠٠ مردفين ـ (الأنفال: ٩).

النصر فى بدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٣).

الرعب: كما يؤيد بإلقاء الرعب فى قلوب الأعداء.

قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾(الأنفال: ١٢)، وقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «نصرت بالرعب على مسيرة شهر».

الحرب النفسية: قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾ (الأنفال: ٤٤).

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الأنفال: ٤٣).

آيات: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾ (الملك: ٢٠). وقوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٠).

دليل حى: لقد تجلى الله سبحانه وتعالى علينا عندما هللنا وكبرنا فى العاشر من رمضان، ليقول لنا إنه موجود وقادر بعد أن أعددنا منذ ١٩٦٧، كل ما نستطيع من إعادة بناء الجيش، وإقامة حائط

الصـواريخ، وبدء حـرب الاسـتنزاف، ولو اسـتـمـر الارتبـاط بالـله لاختلفت النتائج النهائية.

إن كل هذه القـدرات الربانية الهـائلة ليست للمسلمـين، ولكن للمؤمنين العـاملين وهى تعود بنا لقوله تعـالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجـرات: ١٤)، وقـوله تعـالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحجرات: ١٥).

المحك الحـقـيـقى للإيمـان: الجـهـاد بالمال والنفس ـ الميـه تـكدب الغطاس.

التكليف المادى: قد أكـون قد تجاوزت فى ذكـر المدد الإلهى، وحتى لا يتصـور أحد أن هذا يغنى عن الإعداد والاستعداد المادى والمعنوى، ولكـن مع الإعـداد بكـل مـا نسـتـطيع لـن يكون النصـر إلا بذكـر الـله والارتبـاط بحبله المتـين: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (الأنفال: ٦٠).

عدل الله: لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

مصادر قوتنا: إن أى تقدير موقـف سياسى أو استراتيـجى يلجأ إلى تجميع إمكانيات الدول العربية فى مواجهة إسرائيل، لا يمكن أن يعبر عن حقيقة تلك الإمكانيات بالنسبة لموقفنا الحاضر.

ومع ذلك فـإننى سـألجـأ إلى اسـتـعـراض إمـكانيـات العـرب المادية

ومقارنتها بإمكانيات إسرائيل لكى أوضح أن العيب فينا (الأنظمة العربية القائمة)، وأنه يجب علينا أن نبدأ بإصلاح أنفسنا، حتى نستطيع أن نستثمر ما حبانا الله به من إمكانيات ضخمة فى صراعنا مع إسرائيل.

المعارك العسكرية التقليدية: إننا نستدرج فى معارك عسكرية تقليدية سريعة يستخدم فيها العدو التفوق فى نوعية السلاح الذى تمده به الدول التى تخشى من التفوق العربى فى الإمكانيات المادية والمعنوية على المدى البعيد؛ فيحققون نصرا سريعا يزيدهم غرورا وصلفا وتكبرا ويزيدنا إحباطا ويأسا.

إرهاق الوجود الإسرائيلى: وقد آن الأوان أن نستدرجهم نحن إلى معركة غير تقليدية وغير نظامية وفدائية، ويكون شعارنا إرهاق الوجود الإسرائيلى فدائيًا ـ واقتصاديًا ـ وفكريا ـ وعلميًا ـ وثقافيًا ـ وسياسيًا مع وضع خطة لكل مجال من هذه المجالات، ولنا من مواردنا ما يكفل التفوق، وما أن تبدأ مصر طريق الجهاد ستجد الجميع يتبعها، ولنا من حرب الاستنزاف، وانتفاضة الحجارة، والمقاومة فى لبنان.. خير دليل.

عناصر القوة الاستراتيجية: إن عناصر القوة الاستراتيجية لأى دولة أو أمة تقاس بعناصر ثلاثة رئيسة، العنصر الأول: هو القوة البشرية، والعنصر الثانى: هو اتساع الإقليم، والعنصر الثالث: هو الثروات الطبيعية.

القوة البشرية: يتفوق عدد العرب على عدد اليهود فى إسرائيل «الأرض المحتلة من فلسطين» بنسبة ٥٤ : ١ وإذا كان علينا أن نعترف بأن الفرد اليهودى يتفوق على الفرد العربى فى المجال العلمى والتكنولوجى، فإن ذلك يعتبر مرضا مؤقتا يمكن التغلب عليه على مر السنين. . كما أن التفوق العددى فى جانب العرب يمكن أن يكون أحيانا بديلا للتفوق النوعى الإسرائيلى المرحلى.

اتساع الإقليم: مساحة الوطن العربى ١٤ مليون كيلو متر مربع، فى حين أن مساحة إسرائيل داخل خطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ هو ٢٠٧٠٠ كم٢ أى أن العرب يتفوقون على إسرائيل فى هذا المجال بنسبة ٦٧٦ : ١.

- ويبلغ طول السواحل العربية ٢٢١٩٥ مما يتيح لها منطقة اقتصادية داخل البحار والمحيطات التى نشرف عليها تبلغ مساحتها ٣ ملايين كيلو متر مربع أخرى. . فى حين أن إجمالى مساحة الشواطئ الإسرائيلية لا يزيد على ١٨٠ كيلو مترا.

الثروات الطبيعية: لقد حبا الله الدول العربية بثروات طبيعية هائلة من الماء والنفط والمعادن. . ويكفى أن نعلم أن ثلثى احتياطى النفط فى العالم مختزن فى أراضى الدول العربية والإسلامية - وأنه بحلول عام ٢٠٣٠ إذا افترضنا عدم ظهور اكتشافات جديدة - فإن النفط سينضب من جميع دول العالم، إلا من خمس دول إسلامية هى السعودية، الإمارات العربية، الكويت، العراق، إيران.

● وإذا كانت الدول العربية لم تنجح بعد فى استثمار وترشيد استخدام مواردها المائية . . وإذا كانت الدول العربية لم تنجح بعد فى استخراج الكنوز المعدنية التى تزخر بها أراضيها . . فإن ذلك لا يعنى سوى أن الأرض العربية مازالت بكرا فى انتظار من يتزاوج معها ويستخرج خيراتها ، وعلى سبيل المثال ، فإن فى السودان وحده ٢٠٠ مليون فدان يمكن استزراعها ، وإنه لو تحقق ذلك ، فإن السودان لا يصبح سلة الطعام للدول العربية فحسب ، بل وسلة الطعام أيضا لأوربا .

● فإذا نظرنا إلى إسرائيل فإن ثرواتها الطبيعية تكاد تكون معدومة . . فلا نفط ولا معادن ، ولكن قليلا من الماء وتبلغ الموارد المائية فى إسرائيل ٢٠٠٠ مليون متر مكعب من المياه يعيش عليها أكثر من ٦ ملايين من البشر «٤,٨٤٤ مليون يهودى + ١,٢ مليون عربى» وهى لذلك تعيش تحت خط الفقر المائى . . مما يجعلها دائما تطمع فى الوثوب إلى الأراضى التى تتمتع بمصادر مياه . . ولعل هذا يجعلنا ننظر بقلق إلى الجهود المصرية التى تبذل من أجل إيصال مياه النيل إلى سيناء .

القدرة الإنتاجية: وبالرغم من هذه الإمكانيات الهائلة التى تؤهل الدول العربية لأن تكون فى مقدمة شعوب العالم إلا أنه للأسف الشديد ، فإننا نعتبر من أقل الدول إنتاجا ، فإذا ما استبعدنا الدول النفطية ؛ حيث إن إنتاج النفط لا يحتاج إلى مجهود بشرى يذكر ، فإن متوسط دخل الفرد فى الدول العربية غير النفطية هو حوالى

١٠٠٠ دولار، بينمـا يصل فى إسـرائيل إلى أكـثـر من ٢٠٠٠٠ دولار، وهذا يعنى أن إنتاج الفرد الإسرائيلى يعادل ما ينتجه ٢٠ فردا عربيا . . ويجب أن يدفعنا ذلك إلى ضرورة تأهيل الفرد العربى والأخذ بوسائل الإنتاج العلمية الحديثة .

الإعداد الإيمانى: إن الإعداد الإيمانى لا يقل فى أثره عن الإعداد المادى إن لم يكن يفوقه، ولكننا أسقطناه من حساباتنا، حتى أن البعض يعتبره نوعا من القدرية أو التحليق فى اللاملموس .

قضى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ١٣ سنة فى مكة كانت بمثابة التركيز على كلمة التوحيد، حتى أصبح المؤمن مهيئًا لكل أنواع البذل بالمال والنفس، فجاهدوا وهاجروا دليلا على صدق الإيمان .

تحقق فيهم قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (التوبة : ١١١) . وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران : ٢٠٠) .

يقول عمر بن الخطاب وهو يخاطب القادة والجنود : «إن عدوكم يفوقكم عددا وعدة ولا تمتازون عليه إلا بإيمانكم فحافظوا على صلواتكم، فإن تركها أخوف عليكم من عدوكم» .

الاستنتاج: ينبغى أن تنعكس كل هذه المعانى وتلك القيم فى تعليمنا وإعلامنا وفكرنا ومبادئنا والمثل والقدوة التى نعطيها لشبابنا .

١ـ بشارات التأييد: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال ٦٢، ٦٣).

قصة الثورة فى تأليف القلوب

٢ـ إنزال السكينة: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

ما حدث فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢: إن مشاركتى فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت جزءاً من قدر الله فسبحانه الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى وسبحانه القائل: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢).

كان جمال عبدالناصر مشغولا بعدد المنضمين إلى تنظيم الضباط الأحرار، وكان المقياس لديه هو حجم ما يُحَصَّل من الاشتراكات التى كانت حصيلتها تستخدم فى طباعة المنشورات أو مساعدة من يقع عليه ضرر بسبب انضمامه للتنظيم، ولكن المقياس عندى كان ارتباط القلوب الذى شهدته عند عودتى إلى سلاح الفرسان بعد انتهاء انتدابى فى إدارة الجيش فى ٢٠ أكتوبر ١٩٥١؛ حيث لحقت بالكتيبة

الأولى سيارات مدرعة عند الكيلو ٤٠ فى طريق السويس، فى اليوم التالى والذى التقيت فيه هناك بمجموعة الضباط الملازمين المتخرجين من الكلية الحربية فى عام ١٩٥٠، وفى نفس النشرة التى رقيت فيها لرتبة البكباشى (المقدم). وكان لقاء قد تآلفت فيه القلوب وتأكدت فيه الثقة بينى وبينهم . . مما دفعنى أن أقول لجمال عبدالناصر إن الموضوع أكبر من الاشتراكات وإنى أعدك ألا تتخلف وحدة واحدة فى سلاح الفرسان : (دباباته وسياراته المدرعة وخيوله) عن المشاركة الفعالة لنجاح الثورة، وأرجو أن تطمئن وتوكل على الله و«حط فى بطنك بطيخة صيفى» كما يقول المثل.

السكينة: لقد تجلت السكينة والاطمئنان بالنسبة لكل من شارك معى، ولكن دعونى أصف لكم مجموعة المشاعر والأحاسيس التى مررت بها عند تنفيذ دورى فى الثورة من الساعة ١٤٣٠ يوم ٢٢ يوليو إلى فجر يوم ٢٣ يوليو.

الأسوة الحسنة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب : ٢١) فى الحج والقتال.

إذن هو القائد فى حياته وبعد انتقاله فنحن لا نتأسى بأحد سواه وهذا يدفعنا إلى أن نترسم خطاه فى كل موقف نتعرض له إذا أردنا الفلاح والنجاح، وما من موقف يمر بنا أو نتعرض له إلا ومر مثيله بالرسول القائد والقدوة ـ صلى الله عليه وسلم . . وما أشبه ظروفنا

بما نمر به هذه الأيام: غـزوة الأحـزاب والخندق بسم الله الرحـمن الرحيم: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ﴾ . . بنى قريظة - بنى النضير - بنى قينقاع . ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب : ٢٢).

المفاجأة السياسية - المفاجأة العسكرية - مفاجأة الريح:

ما أشبه اليوم بالبارحة: واليوم نرى اليهود كما لو كانت قد خلت لهم الساحة يسيطرون على الإعلام والاقتصاد والسياسة والقوة؛ لأن العالم ينافقهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ (١٢) لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (١٣) لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر : ١١-١٤).

معاهدة كامب ديفيد: عارضناها منذ البداية، وتضررنا من نتائجها وأبعادها، واعتبرناها تسليما بلا قيد أو شرط من كبرى الدول العربية، ومازالت أرضنا محتلة وفيها تجميد لدور مصر النضالى الرائد، وأصبحت سيناء منطقة منزوعة السلاح فيما عدا

الوجود بفرقة واحدة لا يتجاوز نطاق عملها ٥٠ كيلو مترا شرق القناة لا تستطيع أن تدافع عن نفسها ولا عن سيناء ولا عن مصر. كما تضمنت اتفاقية تجارية تكون مدخلا وسندا للسيطرة الاقتصادية - ثم اتفاقية ثقافية لحماية إسرائيل مما يكشف فيه القرآن الكريم عن مكرهم وخداعهم وضلالهم ونقضهم لكل عهد، وأنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا - كما تتضمن إسقاط التضامن العربي لكل ما يتعارض مع مصلحة إسرائيل.

الإعلام: قد أصبح الإعلام المعادى من أشد الأسلحة التى تعمل على طمس الحقائق وتثبيط الهمم وإشاعة روح اليأس والاستسلام.

الاستنتاج: ضرورة وضع خطة لمواجهة هذا الخطر، وحتى لا تكون أجهزتنا التى ينفق عليها الكثير، مسخرة فى خدمة اتجاهات العولمة والتعبير عن وجهة نظر الدول التى تؤيد وتساند وتنافق إسرائيل.

القوى الكبرى: انتهت مرحلة استغلال التناقضات بين الدول الكبرى بعد أن تأكد الوفاق بينها وبعد أن انفردت أمريكا بالقطبية المطلقة.

استنتاج: الارتباط المطلق بالأكبر وهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد بكل ما يمثله هذا الشعار من أدب والتزام وتكاليف ومسئولية وحق.

مقارنة بين القوى المادية بين العرب وإسرائيل يناير ١٩٩٩

	العرب	إسرائيل	المقارنة	
			عرب	إسرائيل
الإنتاج المحلى بملايين الدولارات	٥٤١٧٠٢	٩٧٠٠٠	٥٠٥٨	١
عدد السكان اليهود بالآلاف	٢٦٠٣٤٣	٤٨٤٦	٥٣٠٧٢	١
الإنفاق العسكرى بملايين الدولارات	٤٠٥٨٣	٧٠٠٠	٥٠٧٩	١
عدد الدبابات	١٩٢٠٤	٤٣٠٠	٤٠٤٧	١
عدد المدافع المجرورة	٧٦٧٨	٤٠٠	١٩٠١٩	١
عدد مدافع ذاتية الحركة	٢٦١٣	١١٥٠	٢٠٢٧	١
عدد الراجمات	٢٦٣٢	١٠٠	٢٦٠٣٢	١
عدد الهاونات الثقيلة	٣٧٦٩	١١٤٠	٣٠٣١	١
إجمالى قطع المدفعية	١٦٦٩٢	٢٧٩٠	٥٠٩٨	١
طائرات القتال	٣١٦٨	٧٢٤	٤٠٣٧	١
طائرات هليوكبتر مسلحة	٦٦٤	١٣٧	٤٠٨٥	١

قصة أبي بكر وعمر : كان أبو بكر ـ رضى الله ـ عنه يحارب من يمتنعون عن دفع الزكاة ، فراجعه عمر ـ رضى الله عنه ـ مستنكراً : «كيف تقاتل قوما يقولون لا إله إلا الله» فرد عليه أبو بكر حاسماً : «إلا بحقها يا عمر ، والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقاتلتهم من أجله ، أَجَبَّار فى الجاهلية خوَّار فى الإسلام يا عمر ؟!» .

مصر كنانة الله: مطموع فيها لمكانتها ووزنها ، فهى المكان القائد الذى تتصارع عليه القوى الكبرى من يكون له السبق بالفوز به .

استنتاج: رفع شعار لا إله إلا الله مع الاستعانة بالله والتوكل عليه ، مع العمل الجاد المخلص ، وقد مرت بمصر أحداث ومحن وابتلاءات ، وكان النصر حليفها فى النهاية فى طرد الصليبيين والتتار ، فهى الكنانة سهامها لا تنضب ، وصبرها لا ينتهى ، وإيمانها عميق ، والله أكبر من كل كبير .

لقد اختلفت صورة العدو بعد هذه التطورات بعد أن كان مجسما فى قوات الاحتلال ، وأصبحت له صور وأشكال متعددة . ولذلك فعندما نناقش قوات العدو فهو العدو بكل ما يمثله مهما تلون أو تشكل ـ عدوا ظاهراً ملموسًا أو عدواً متخفيًا مدسوسًا ـ عدوا مباشرا أو عميلاً مندسًا ومتسترا ، وقد يكون كفرا واضحًا أو نفاقًا خادعًا أو يأتى فى صورة نصيحة قاتلة أو آراء وأفكار فاشلة ، وذلك فى كل مجالات الحياة ـ اجتماعا ، اقتصادا ، دفاعا ، استعدادا ـ ثقافة وتجارة وعمارة وصناعة وزراعة وفكرا وعلما ،

وإعلاما فى كل نواحى الحياة والنشاط على اختلافها، وبذلك يكون رأس الموضوع واحدا. فإذا أصبح رأس الموضوع واحدا وهو إعلاء كلمة الله تحقيقا لمصلحة الوطن وتحريرا لإرادته أصبحت بالتالى جميع أنشطة الحياة روافد لأصل واحد، أما إذا ضاع رأس الموضوع فهو الضياع فى كل موضوع.

اليهود: «كتاب الحكومة الخفية»: وقد ورد تفصيله فى المقال السابق إرهاق الوجود الإسرائيلى علميا.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: ٨٢)، سلاحهم جمع الذهب ليشتروا به الكلمة.. يتسلطون بها على العقول من خلال دور النشر التى يمتلكون معظمها، وكذلك الصحافة التى يسيطرون عليها من خلال الإعلانات التى أصبحت عصب أى صحيفة للاستمرار.

غضب الله عليهم: غضب الله عليهم فشتتهم فى الآفاق، وها هم يتَحَدّون هذا التشتيت بمحاولتهم التجمع فى فلسطين وهم لا يدركون أنهم مسخرون فى هذا التجمع لتكون فيه نهايتهم.

غرور المال: «**﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾**» (آل عمران: ١٨١).

- كتاب أهداف جديدة لإسرائيل: مؤلفه آرييه آلياف.
- القوى الاستراتيجية للدول العربية وإسرائيل ١٩٩٩.

العدو: بعد جلاء الإنجليز فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ للمرة الثانية فى عام واحد - وحتى سنوات قليلة مضت، كنا نعتبر أن الصهيونية العالمية وإسرائيل هما العدو الأول للعرب والمسلمين - وأن أمريكا والدول الغربية التى تساعد إسرائيل وتساندها فى العدوان علينا هى أيضا عدو لنا. ولكن الموقف قد اختلف الآن كثيراً بعد أن أصبحت الغالبية العظمى من الدول العربية تتسابق فى تطبيع علاقاتها مع إسرائيل. . . . وبعد أن أصبحت أمريكا ودول حلف الأطلسى تجاهر بأن العدو الأول للحلف بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، هو الإسلام السياسى كما يدعون.

فقد جاء على لسان المستر كلايس KLAES السكرتير العام لحلف شمال الأطلسى (الناتو) فى الخطاب الذى ألقاه على مجلس وزراء الحلف فى يناير ١٩٩٥، أنه يحذر من المد الإسلامى الذى يهدد بالسيطرة على الحكم فى الدول الإسلامية، والذى فى رأيه يهدد الثقافة الغربية والتقدم داخل المجتمعات الغربية، وأنه يجب التصدى لهذا التيار.

وبالرغم من هذا الموقف العدائى المعلن من جانب أمريكا ومن جانب حلف الأطلسى. . . وبالرغم من أن الممارسات الأمريكية تؤيد وتؤكد موقفها العدائى ضد العرب والمسلمين، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر دعمها اللامحدود لإسرائيل ومساعدتها فى إنتاج أسلحة التدمير الشامل، فى الوقت الذى تحرم فيه ذلك على جميع الدول العربية والإسلامية، بل فى الوقت الذى تفرض فيه

قيوداً شديدة على ما تملكه الدول العربية والإسلامية من أسلحة تقليدية تضمن لإسرائيل التفوق على الدول العربية. . . .
وبالرغم من الحصار والضربات العسكرية التى توجهها أمريكا لكل من ليبيا والعراق والسودان. . . وبالرغم من علاقاتها المتدنية مع إيران وسوريا.

فإننا نجد أن كثيرا من الدول العربية والإسلامية توالى أمريكا، وتسمح لها بإنشاء قواعد عسكرية على أراضيها من أجل ضرب دول عربية شقيقة أخرى. وهم يدعون أحيانا أن موالاتهم لأمريكا لا تعنى صداقتهم لإسرائيل.

وهذا من وجهة نظرنا ليس صحيحا. . فصديق أمريكا هو بالضرورة صديق إسرائيل سواء اعترف بذلك أو لم يعترف.

وليس من قبيل الصدفة أن أكثر الدول صداقة لأمريكا هى أكثر الدول ملاحقة للجماعات الإسلامية التى تتبنى العمليات الفدائية ضد إسرائيل وضد أمريكا، وذلك تحت شعار ما يسمى بالتصدى للعمليات الإرهابية.

وفى ظل هذا التشرذم العربى والإسلامى وفى ظل عدم الالتزام بالنصوص القرآنية التى تطالب المسلمين بعدم موالاة غير المسلمين واستعدائهم ضد إخوانهم المسلمين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)

هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران ١١٨ - ١٢٠).

فإنه يجب علينا أن نعترف بأن الأنظمة العربية والإسلامية الحالية تختلف فيما بينها حول تحديد من هو العدو ومن هو الصديق، فما يمكن أن تعتبره دولة ما عدوا فهو بالنسبة للأخرى صديق، وما يمكن أن تعتبره دولة ما صديقا فهو بالنسبة للأخرى عدو.

تعليق على الإنفاق العسكرى

الإنفاق العسكرى العربى يحتاج إلى ترشيد شديد فى الدول العربية الخليجية. فهذه الدول الست (السعودية، الكويت، الإمارات، البحرين، قطر، عمان) وصل إنفاقها العسكرى عام ١٩٩٨ إلى ٢٧٩٠٢ مليون دولار وهو ما يزيد قليلا على ثلثى الإنفاق العسكرى العربى - كما أنه يعادل أربعة أمثال الإنفاق العسكرى الإسرائيلى.

ولكن هذا الإنفاق لم يقابل بأى زيادة فى القدرات القتالية لتلك الدول؛ حيث إن إجمالى الأسلحة القتالية لتلك الدول لا تمثل سوى ٥,٧٪ من الأسلحة العربية.

والخلاصة: إن العيب فينا وعلينا العمل على تغيير واقعنا وأننا نواجه معركتين وليست معركة واحدة. ويجب ألا نربط المعركتين ببعضهما.

أولا: المعركة التى يفرضها الوجود الإسرائيلى.

ثانيا: المعركة فى مواجهة الصراع بين القوى الكبرى وتنافسها فى سباق من يفوز بهذا المكان القائد فى مصر محور الأمة الوسط أما المعركة الأولى - فينبغى أن تكون بسياسة النفس الطويل، واستدراجها إلى مواجهة الشعوب العربية والإسلامية بعددها وإمكانياتها؛ وذلك برفع شعار جديد هو إرهاق الوجود الإسرائيلى فدائيا وليس عسكريا. . وإرهاق اقتصادى وسياسى وفكرى وعلمى وثقافى بخطة تفصيلية لكل من هذه الماديات الستة.

أما المعركة الثانية: فنواجهها بألا ننحاز لأى من القوى الكبرى، فإنهم فى النهاية يؤكدون الوفاق فيما بينهم لضربنا. . كما حدث فى ١٩٦٧، ولكن نؤكد الارتباط بالأكبر وهو الله القادر على نصرنا، إذا تعاهدنا على اتباع منهجه الذى هو وحده القادر على تحقيق النصر والفلاح.

الأمة الإسلامية
وانبعاثها من جديد

إن ما تتعرض له الأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها من قهر وإيذاء ومظالم وعدوان، بلا مقدمات ولا أسباب ظاهرة ملموسة أو خفية مدسوسة، يدفع بالعقل المسلم إلى التساؤل لمعرفة - على وجه التحديد - من هو العدو لإمكان مواجهته فليس هناك مجال للتهوين فى مثل هذا الأمر؛ حيث إن العدوان على أى مسلم هو عدوان على المسلمين كافة، وعليهم مسئولية مواجهة العدو مواجهة إسلامية شاملة تصديقا لقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ٣٦).. ينبغى تحديد هذا العدو الذى هو من وراء كل هذا الغل وهذا الحقد الأسود والتصرف الأحمق، والبطش الذى تشابه مع بطش ثمود فى جبروته.

وأول التساؤلات تشير إلى من قال الله سبحانه فيهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: ٨٢).. هم اليهود والذين من ورائهم، إن اليهود الذى كفروا من أهل الكتاب أصبحوا يمثلون العصابة الدولية والمافيا العالمية التى تمكنت واستحوذت على إرادة وعقول الغرب المسيحى الاستعمارى، بالإغراق الإعلامى والابتزاز المالى والاقتصادى، والتصفية الجسدية لكل من يقف ضد مخططاتهم الشيطانية.

وتدفعهم بكل هذه الوسائل لمعاداة الإسلام والمسلمين، وتجدد فى نفوس الغرب الاستعمارى ذكريات الحروب الصليبية، حتى أنها جاءت على لسان بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.. إنهم يستغلون فى ذلك تحكمهم فى سوق المال الذى يقترفون جمعه من كل ما هو حرام من دعارة وخمور ومخدرات والربا الفاحش والإفساد الخلقى والمعنوى للمجتمعات للقضاء على روح المقاومة.

والمال يمكنهم من شراء الكلمة وشراء العملاء والضمائر فيتحكمون فى الإعلام بكل صوره، فيقلبون الحقائق بهذا الإغراق الإعلامى الذى جعلوا منه أهم أسلحتهم للابتزاز والتهديد.

تصديقا لقوله تعالى فى شأنهم فى هذا المجال: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٤٢).. إنهم يريدون إقامة دولة الشيطان التى لا يمكن أن تتعايش مع دولة الإيمان التى تلتزم بمنهج السماء ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).. إنهم لا يمكنهم أن ينسوا هزيمتهم على يد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإجلاءهم من يثرب وخيبر نتيجة غدرهم ونقضهم للعهود والمواثيق ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ١٠٠).. حتى أنهم أطلقوا على حرب ١٩٦٧، اسما كوديا هو خيبر تذكيرا وانتقاما وثأراً، ولكن الله القوى. العزيز، الحكيم، الجبار، المنتقم، يقرر فى كتابه العزيز:

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(النساء: ٧٦). . وقوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة: ١٩).

التساؤل الثانى هل هذا الإيذاء الذى يقع على المسلمين هو تعبير عن غضب الله علينا عندما أغفلنا منهج السماء الذى يضمن لنا العزة والنصر، وأدرنا له ظهورنا وأخذنا نتسول المناهج من هنا ومن هناك، وسرنا فى مواكب المنافقين فنبرر المسالمة ونستجدى السلام فى مأدبة اللئام تصديقا لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ (١٢) لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (١٣) لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر: ١١ ـ ١٤).

وتركنا وغفلنا عن قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتى».

التساؤل الثالث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨).

والتساؤل هنا هل هذا الايذاء الذى تباشره تلك القوى الغاشمة المتجبرة هو تسخير من الله لإيقاظ المسلمين من غفلتهم وسباتهم، ليفيقوا وينهضوا ويتجمعوا معتصمين بالله فيرضى عنهم، فيمدهم

بمدده وعونه ويعفو عنهم، فيشملهم برحمته مرة أخرى فيحييهم ويمكن لهم ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١). إن هذا الإيذاء الذى لم يترك بلدا فى العالم الإسلامى من مشرقه إلى مغربه إلا وبه اعتداء.. فمن البوسنة والهرسك إلى كوسوفو، والألبان فى مقدونيا، والشيشان والأفغان وكشمير وجنوب الفلبين، وفى العراق والسودان وفلسطين وليبيا، وما يعانيه المسلمون فى أوربا وأمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فى كل من نيويورك وواشنطن.. هذا الإيذاء الشامل هل هو تدبير وتسخير من الله ليكون الإيقاظ عاما وشاملا ليتحقق قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ٣٦).

دعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ: إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقد تقدمت به السن يريد أن يطمئن على رسالة الإسلام الذى وضع بذرتها ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج: ٧٨)، ودعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩)، واستجاب العزيز الحكيم لدعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ فاصطفى واختار خير الأنام ليقيم مبادئ خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

لكـل أمـة أجـل: إن إبراهيـم وهـو يـعلـم أن لـكل أمـة أجـلا وأنـه إذا جـاء أجلـهـم فـهم لا يستـأخـرون سـاعـة ولايستـقـدمـون، يريد أن يطمئـن على بعث الأمة بعـد انقضـاء المد الأول فيسـأل ربه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

لماذا طيراً؟ ولماذا أربعة، إنهـا إشارة رمـزية إلى الرسـالات الأربع التي حـملها إبراهيم ومـوسى وعيسى ومـحمـد ـ عليهم جميعا أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ والتى جاء تقديمـهم فى مطلع الربع الأول من الجزء الثالث فى سـورة (البـقـرة: ٢٥٣): ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾.. ولكـن الله يذكـرهم ليس بتـرتيب نزولهم، ولكـن بمقـاماتهم عند الله مـحـمـد، ثم إبراهيم، ثم مـوسى، ثم عيسى ابن مريم.

ولكـن مـا الـذى تبـقى من هـذه الرسـالات التى تدعـو جـميـعـا إلى منهج السمـاء.. إن الله يشبهـها بالطير التى تحلق فى السماء؟.. أى أنهـا أصبـحت تحتـاج إلى تجـميعـها لتتوحـد فى المنهج الذى انتهت به الرسـالات على قلب مـحـمـد ـ عليـه الصـلاة والسـلام ـ حيث إنه رسـول الله وخاتم النبيين التى تمت بـه النعمة وكـمل به الدين وأصبح الإسلام فى وضعه النهائى الذى لا يحتـمل إضافة أو تعديلا، فإذا كان اليهـود والنصارى يطلقون على التوراة والإنجيل العـهد القديم والعـهد

الجديد . . فيحق لنا نحن المسلمين أن نطلق على القرآن المجيد أنه العهد الأخير الذى نزل على قلب خاتم الأنبياء والمرسلين، والذى تكفل الله بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحج : ٩)، ويبين الله سبحانه أن الطير لا لأحد سلطان عليه ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (الملك : ١٩).

إن إجابة الله سبحانه عن سؤال إبراهيم ـ عليه السلام ـ هى القول الفصل تعبيرا عن الإرادة المطلقة إرادة العزيز الحكيم الذى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون . . فما عليك ياإبراهيم إلا تنفيذ ما آمرك كما أمرتك من قبل فى قوله تعالى : ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ (الحج : ٢٧) . . فقال إبراهيم وهل سيسمعوننى قال له ربه ما عليك إلا أن تؤذن والله كفيل بوصول الآذان فما على الرسول إلا البلاغ . . وكذلك تلك الإشارة لبعث الأمة الإسلامية هو أمر لا ريب فيه ولا لبس ولا شك أو ارتياب، وإنما السؤال هو كيف؟ ومتى يأذن الله؟ ومن هذا الذى يصطفيه ربه ويختاره ليجرى على يديه هذا البعث؟ ويكفينا قول الله لرسوله بتلك البشارة ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (الضحى : ٤ ، ٥).

إن تصوير بعث أمة الإسلام بعد أن تداخلت الأمور وتبددت القيم، وأصبح المنكر معروفا والمعروف منكرا، وأصبحت دولة الشيطان تحارب الأديان فى كل مكان، وعم الخوف والظلم والجوع،

فلابد لها من تدخل إلهى يعيد للكون توازنه بإعادة الناس إلى منهج السماء بعد أن تحكم منهج الشيطان . . وأغلب الظن والله أعلم أن مبادأة السماء أصبحت وشيكة تصديقا لقوله تعالى : ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (النجم : ٥٧ ـ ٥٨) .

إن ما أقوله ليس تواكلا أو استسلاما ، ولكن حجم الظلم تجاوز كل الأبعاد المحلية والقومية والعالمية . . لقد أصبحت قضية كونية ليس لها من دون الله كاشفة .

فاللهم يامالك الملك يامن بيده ملكوت كل شىء أغثنا برحمتك وأدركنا بعفوك وبرك وفضلك ياذا الجلال والإكرام .

فاللهم أعنى على قراءة القرآن وتدبره ، اللهم زدنى علما وافتح علينا لنعرف ما جهلنا واجعل القرآن العظيم نور قلبى ودليل عملى ودستور حياتى لنسعد بما سعد به الأولون الذين باعوا الدنيا فدانت لهم الدنيا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد صلاة عبد قلت حيلته . . أنت إلى الله وسيلته . . فدعا رب إنى مغلوب فانتصر .

الفهـرس

رقم الإيداع ٥٩٧٨/٢٠٠٢
الترقيم الدولى 9 - 0816 - 09 - 977

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)